محاضرات
مادة الاعجاز القرآني

اعداد
الاستاذ الدكتور
جبار عبد الوهاب الدليمي

المرحلة الرابعة
قسم علوم القرآن

كلية التربية للعلوم الانسانية

نبذة عامّة

شاءت مشيئة الله أن تكون معجزة سيدنا محمّد ﷺ معجزة معنوية، معجزة علمية ومعجزة عقلية؛ لأن الأمة المحمّدية كانت في إرادة الله لتعيش في عصر يسود فيه العلم والفكر، وترتقي فيه البشرية إلى مستويات رفيعة من آفاق الفكر لم تصل إليها قبل نزول القرآن، وتتفتح فيها أبواب المعرفة على مصراعيها، وتتكشف فيها للإنسان حقائق الكون ما لم تكتشف لأحد قبل عصر النبي ﷺ. فكانت معجزة القرآن العلمية والعقلية مناسبة لهذا العصر، كما أن ذاك العصر كان يليق بمعجزة القرآن. ولا شك أن كل ما نراه اليوم في العالم من تطورات علمية وتقدم فكري هائل هي نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لرسالة القرآن الكريم التي دعت إلى دراسة الكون دراسة اعتبار، ونادت بفتح الباب على مصراعيه لاكتشاف حقائق الكون التي بقيت مغلقة على من كانوا قبلنا.

ولا زال علماء الإسلام منذ القرن الأول يعتنون بهذا الموضوع، وجاؤوا فيه بآراء قيمة، وأزاحوا النقاب عن جمال القرآن الكريم وحسنه، وقدموا في ذلك بحوثاً طيّبة وتحقيقات أنيقة كما تبين ذلك من العرض التاريخي الموجز الذي قدمناه. ونشير هنا إلى بعض هذه النواحي الهامة التي وردت في بحوث المتقدمين وتحقيقاتهم بإيجاز. ولا نريد بسط القول في جميع وجوه الإعجاز عند المتقدمين، فإن ذلك

موضوع طويل، لا يكاد يستوعبها بحث موجز. ولكننا سنركز على بعض النواحي الهامة كمثال. وليست هذه الأمثلة إلا غيض من فيض، بل لمعة خاطفة من أنوار ساطعة. ثمَّ نفصل القول في جوانب مهمة من هذه المباحث.

سبق أن ذكرنا أن الأديب المعتزلي الجاحظ كان من أوائل من أفرد موضوع الإعجاز كتابة وتأليفاً. فألف كتاباً في نظم القرآن للرد على الملاحدة والزنادقة من أعداء الاسلام في عصره. وكان يمتاز بمعرفة واسعة عميقة للأدب واللغة، ويفوق معاصريه في قوة البيان ورصانة الأسلوب. وانتماؤه إلى الفكر الاعتزالي منحه قوة في المنطق والحجة. فكان مؤهلاً علميًّا وفكريًّا لكي يقوم بمثل هذا العمل.

وقد تحدث في كتابه «حجج النُّبُوَّة»[1] عن معجزات الأنبياء ومعجزات نبينا عليه الصَّلاة والسَّلام، وعلى رأسها وفي مقدمتها معجزته الكبرى، وهي القرآن الكريم. تلك المعجزة التي فاقت معجزات الأنبياء من ناحية النظم والأسلوب البياني. ويرى الجاحظ أن الإعجاز القرآني وقع بالنظم والروعة في التأليف وجمال الصور البيانية. وقد استند في مباحثه ونتائجه إلى العقل والذوق الفني، ويعتبرهما معيارين أساسيين دقيقين في تحديد أسس البلاغة القرآنية وتصوير الجمال الأسلوبي في كتاب الله. ومن الموضوعات البلاغية التي اهتم بها الجاحظ في دراسته للإعجاز البياني للقرآن قضايا المجاز والاستعارة، والتشبيه والإيجاز.

---

(١) هذا الكتاب عبارة عن رسالة طُبِعت ضمن رسائل الجاحظ.

وممن جاء بعد الجاحظ من الأدباء أديب معتزلي آخر، وهو أبو الحسن علي الرماني (المتوفَّى ٣٨٤هـ)، أحد الأئمة المشهود لهم بسعة الباع في مجالات الأدب واللغة، بالإضافة إلى اهتماماته في علوم الكلام والتفسير. وأهم ما قام بتأليفه الرماني في موضوع الإعجاز رسالته المعروفة: النكت في إعجاز القرآن[١]. وقد حصر الرماني وجوه الإعجاز في سبع جهات. وهي:

١ ـ ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.

٢ ـ والتحدِّي للكافة.

٣ ـ والصرفة.

٤ ـ والبلاغة.

٥ ـ والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية.

٦ ـ ونقض العادة.

٧ ـ وقياسه بكل معجزة[٢].

ثمَّ يفصل القول في الوجه الرَّابع، أي البلاغة، بأنواعها، ويوجز القول في الوجوه الستة الأخرى في نهاية الكتاب. فيقول عن البلاغة: فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، وما هو في أدنى طبقة. ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز. وهو بلاغة القرآن. وما كان منها دون ذلك فهو ممكنٍ كبلاغة البلغاء من النَّاس. ثم يشرح البلاغة ويقول:

---

(١) طُبِعت الرسالة مع رسالتين أخريين للخطابي والجرجاني في مجموعة طبعتها دار المعارف بالقاهرة.

(٢) نفس المصدر (ص٧٥).

ليست البلاغة مجرد إفهام المعنى، بل البلاغة عبارة عن إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ـ فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة. وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم[1].

ثمَّ يفصل أبواب البلاغة ويقسمها إلى عشرة أقسام:

١ ـ الإيجاز.

٢ ـ والتشبيه.

٣ ـ والاستعارة.

٤ ـ والتلاؤم.

٥ ـ والفواصل.

٦ ـ والتجانس.

٧ ـ والتصديق.

٨ ـ والتضمين.

٩ ـ والمبالغة.

١٠ ـ وحسن البيان.

ثمَّ فسّرها وفصّلها باباً باباً. وسوف نشير إلى بعض نتائجه في ما بعد إن شاء الله. وفي نهاية الرسالة؛ يشرح الرماني الوجوه الإعجازية الستة الأخرى باختصار وإيجاز، نوردها فيما يلي بمزيد من الاختصار:

أما توفر الدواعي فيوجب الفعل مع الإمكان لا محالة، في واحد كان أو في جماعة. والدليل على ذلك أن إنساناً لو توفرت دواعيه إلى

---

(١) نفس المصدر (ص٧٦).